Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي كتاب "أسرار البلاغة" يحدد عبد القاهر المسلك الذى لابد منه للابتعاد عن التكلّف فى المحسنات اللفظيّة، فعنده أنه لا يوجد "تجنيس مقبول ولا سجع حسن حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه، وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغى به بدلا، ولا تجد عنه حولا".(١) فتلك النظرات المعتمدة على أحكام سيادة المعنى وأصالته وتبعية اللفظ له، إنما تساوق ازدواجية النظر السلفى إلى اللفظ والمعنى بوصفهما عنصرين منفصلين.

وتعبر فكرة الوعاء والموعى فيه عن طبيعة فكر فريق من القدماء فى تناول مشكلة اللفظ والمعنى. فقد اعتبروا الألفاظ أوعية للمعانى مثلما تبدّى لنا من خلال مذهب عبد القاهر، غير أن هناك خُلف فى القياس، والخُلف هنا راجع "إلى أن الرابطة بين اللفظ والمعنى تتجلّى فى وضع تزامن ومعيّة لا تسمح بانفصال أحدهما عن الآخر، وليس اللفظ وعاءً يخلو تارة ويمتلئ أخرى على نحو ما هو واقع فى الظروف والأوعية، ذلك أن كلاً منهما يخلق صاحبه بحيث يبدو تأمل أحدهما تأملا للآخر، وكما يكشف نسق الألفاظ عن نسق المعانى، تترتب المعانى فى بنياتها وفق ما تترتب الألفاظ، وهما فى نهاية الأمر وجهان متضامان لحقيقة واحدة".(٢)

وفى سياق رصد العيوب الدلالية التى تصيب التركيب السجعى، وقف ابن الأثير متابعا لها، منتقدًا تكرار المعنى الواحد فى جمل سجعيّة متتالية؛ ذلك لما فيه من تطويل. ومن ثم اشترط "أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه أختها".(٣)

وقد يكون لنا أن نفكر فى طبيعة التكرار الذى جعله "ابن الأثير" واحدًا من محذورات التركيب السجعى، فنميّز بين نوعين منه: تكرار بإعادة العبارة الأولى

---

(١) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجانى، ت محمد عبد المنعم خفاجى، مكتبة القاهرة، ط٣، ١٩٧٩، جـ١، ص ١٠٢- ١٠٣.

(٢) النص الشعرى ومشكلات التفسير، عاطف جودة نصر، مكتبة الشباب، ١٩٨٩، ص ١١٣.

(٣) المثل السائر، ابن الأثير، جـ١، ص١٩٩.